

(رسالة التطور) قاصرة على مصر وحدها بل تتناول بلاداً أرقى مدنية من بلادنا بكثير . ففي أمريكا مثلاً تقوم العقبات في سبيل تبليغ هذه الرسالة حيث قد حرمت بعض ولاياتها تلقيها في مدارسها وجامعاتها ( وان كانت المحكمة العليا قد قضت ببطالان حكم الولاية في هذا الشأن ) وكذلك العامة في كل مكان لا تكاد تقيم وزناً لها ورغم كل ذلك فالدلائل كلها تدل على ان البشر لا بد ان يعتقدوا هذه الرسالة في زمن قصير : قلنا ان رسالة التطور الى شعوب الارض قد حملها السابقون على داروين وباشرفن ومورغان والآخر اول من ادخل الترتيب المنطقي في تاريخ البشرية الاولى أى تاريخ العصور التي تقدمت التاريخ فقد قسمه الى ثلاثة عصور ( عصر الهمجية ) و ( عصر البربرية ) و ( عصر المدنية )

## الفصل الحادى عشر

### الدين والتأليف

كانت الأديان والآلهة في البداية شيئاً غامضاً أو متصلاً بالاشباح ومظاهر الطبيعة ثم أخذت تتحدد وتتميز وتعدد فكانت عبادة الشمس ديانة قدماء المصريين المعروفة ، وديانة الهندوس والكويوشية والأرواح والآلهة ثم ديانة اليهود المتكلمين بالعبرية

وذلك حوالي ١٤٠٠ ق. م. وكانت ديانتهم مشوشة إلى أن ظهرت التوراة .  
أما الكتاب المقدس فيشمل العهد القديم « التوراة » والعهد الجديد  
« الأنجيل » . والتوراة، في معناها الضيق، تطلق على الاسفار الخمسة الأولى من  
العهد القديم الذي ينسب إلى النبي « موسى » وهي سفر التكوين ،  
والخروج ، واللاويين ، والعهد ، والتثنية . أما « التلمود » فهو  
مجموع التعاليم الأدبية والدينية في سنة ٤٠٠ في جزئين : تلمود اوروشليم ،  
وتلمود بابل . غير أن اليهود القرائيين يشكرون « التلمود » وقد جمع بين فيما القرنين  
الميلاديين الرابع والسادس ، وينقسم قسمين « مشنا » وهي أحكام شرعية مقاسة  
على « التوراة » ، و « جمارا »

### ديانة الايرانيين

كان الفرس « الايرانيون » القدماء يعبدون الاوثان الى أن ظهر في تاريخ  
يتأرجح بين القرن العاشر والخامس ق. م بينهم « زورادشت » ، وعندهم أنه قد  
هرج إلى السماء وتلقى عن أهورامزدا « الله » - الكتاب المقدس « الأستا » .  
وعند بعض مفسريه أنه يقول بأن رب الكون واحد لا شريك له ، وإن يكن  
في الكون خير وشر يتنافسان

### ديانة اليونانيين

أوردت الاساطير اليونانية القديمة أسماء آلهة اقيمت لها التماثيل وسكنت جبل  
أوليموس ، ومن هذه الآلهة « أبولو » إله الشمس ، و « فينوس » إله الجمال ،  
و « جوبتر » إله المشتري و « وزيروس » الخالد إله النهار والضوء وسيد النظام ورب الارباب

وزوجه «هيرا» و «بلوتو» إله جهنم ، «ومير كاري» إله عطارده، و «هفيسثوس»  
إله الحدادين، و «افروديت» إلهة الجمال، و « آثينا» إلهة الحكمة، و «بوزيدون»  
إله البحر ، و «تيميس» إلهة الشريعة ، و «أبنوميا» إلهة الحكم الصالح، وآلهات  
«اليارك» : الأعمار الثلاثة ، و «هادويس» سيد العالم الآخر ،  
و «ديانا» إلهة الصيد .

وآلهة اليونان تماثل الانسان فهي تزوج وتغضب وتفرح ، وهي ذات  
علاقة وثيقة بالانسان والطبيعة ، ويتوزع بينها العمل والاختصاص!

### الدين والفلسفة

وعند «سعيد زايد» خريج كلية الآداب في جامعة فؤاد الاول في القاهرة  
أن هنالك صلة متينة بين الدين والفلسفة وأنه إذا كان الدين في أول أمره يعتمد  
على مخاطبة القلب قبل العقل ، إلا أن المتدينين لا يلبثون أن يواجهوا مشكلات  
لاهووية لا تحل إلا بنور العقل ، والسبيل إلى ذلك الفلسفة ، فبعد أن استقرت  
الدعوة الالهية واستتبت الامور واتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخلت أمم  
كثيرة متمدنة تحت لواء الاسلام ، اتسع الوقت للمناقشة والجدل ، وواجه  
المسلمون أقواماً درسوا الفلسفة والمنطق، لا يفهمهم في الاقناع أن يقال لهم :  
قال الله تعالى كذا ، أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيت ، لا سيما والله تعالى  
ورسوله يدعوهم إلى تحكيم العقل فيما يدعون اليه . إزاء هذه الحالة لم ير  
المسلمون بدأ من الاقبال على دراسة الفلسفة والمنطق ، ومن أن يطلبوا حكم  
العقل في أمور الدين ، فنشأت فلسفة اسلامية ترمي الى التوفيق بين  
العقل والنقل ، واصطنع منهج التأويل .

ففي مسألة الوحدة نجد ابن سينا، الذي غي، بهذه المسألة عناية واضحة تبدو

المتأمل في مؤلفاته العديدة ، ولا سيما في مباحثه الميتافيزيقية « أي المتصلة بما بعد الطبيعة » في واجب الوجود الذي لا يحتاج في وجوده إلى غير ذاته ، فهو علة ذاته وعلة كل الممكنات الأخرى - نجد المعلم الثالث « ابن سينا » يحاول من ناحيته أن يثبت بالدليل النقلي ما قد أثبتته عن طريق الاستدلال العقلي من وحدانية واجب الوجود ، غير أنه لا يتيسر له ذلك تواءمًا مع الالتجاء إلى تأويل بعض النصوص القرآنية التي وردت فيها آيات تدل على أن الله واحد ، ولا أظن أن المجال يتيح لنا عرض صور مختلفة لما لجأ إليه ابن سينا من التأويل في كل ما ورد من الآيات فيما يختص بالوحدانية ، وإنما يكفي أن نشير إلى تأويلاته في تفسير سورة الإخلاص ، متخذين هذا التأويل أنموذجاً يوقفنا على مدى ما ذهب إليه المعلم الثالث في تفسيره وتأويله .

« قل هو الله أحد » يعود بنا ابن سينا في تفسيره لهذه الآية إلى فلسفته الميتافيزيقية فيقول « الهو المطلق هو الذي لا تكون هويته موقوفة على غيره » أو بمعنى آخر هو أن وجوده متوقف على ماهيته وذاته ، على تقيض الممكن الذي يتوقف وجوده على غيره ، وإذا كان وجود « الهو » المطلق متوقفاً على ذاته ، كان واجب الوجود ، لأن وجوده هو عين الذات إذ ، أن اقتران « الهو » بالله يكشف عن أن المقصود « بالهو » هو الهوية الإلهية .

وهذا بحق لازم من لوازم تعريف الألوهية بالوحدانية ، تكمال بساطتها وغاية وحدتها . ويعلق ابن سينا على ذكر اللوازم القريبة « للهو هو » بأن ذلك تعريف حقيقي ، لأن التعريف الحقيقي هو الذي يذكر فيه اللازم القريب للشيء الذي يقتضيه الشيء لذاته ، لا لغيره ، لأنه إذا ذكر فيه اللازم البعيد لا نستطيع أن نقرر أن هذا اللازم معلول للشيء حقيقة ، بل كل ما نستطيع أن نقرره أنه

قد يكون معلولا لمعلوله. ثم يتطرق ابن سينا في تفسيره الى ان يفرض سؤالاً لا قد يمكن أن يوجه اليه، وهو أن ماهيته تعالى، اذا كان لا يمكن لغيره معرفتها الا بوساطة صفات السلوب والاضافات، فلم لم يذكر ذلك واقتصر على ذكر اللوازم ويحجب علي هذا السؤال بان الله بوصفه عاقلاً ومعقولاً، واحد ليس له مقومات، بل انه وحدة مجردة، وبساطة محضة لا كثرة فيه، ولا اثنية هناك أصلاً، وعقله لذاته، ولا يعقل من ذاته إلا الهوية المحضة المجردة عن الكثرة، ولذا عرفها بلوازمها التقرية، وتأكيده بأنه واحد مبالغة في الوحدة، لعدم وجود التشكك في أنه واحد من جميع الوجوه، وأنه منزه عن الكثرة سواء أكانت كثرة معنوية كالاجناس والفصول، أم كثرة مقومات كالمادة والصورة والاعراض.

ثم ان ابن سينا في تفسيره «الصمد» يقرر أن طهذه الكلمة تفسيرين أولهما الذي لا جوف له، وثانيها السيد. ثم يقول التفسير الاول بان الصمد صفة سلوب تنفي الماهية، لان كل ما له ماهية له جوف وباطن، وما لا بطن له وهو موجود لا اعتبار لذاته إلا بالوجود، والذي لا اعتبار له الا بالوجود يكون غير قابل للعدم، فالشيء من حيث هو موجود، يكون غير قابل للعدم فالصمد يكون بهذا المعنى واجب الوجود من جميع الوجوه.

أما التفسير الثاني لكلمة «الصمد» بوصفه سيداً فيقول ابن سينا على أن المقصود أنه سيد لكل، أي مبدأ الوجود وعليه الاولي..

ويؤول ابن سينا قوله: «لم يلد ولم يولد» بأنه هو وحده، وأنه وان كان مصدرأ للوجود فإنه لا يفيض بوجود مثله، حتى يكون له ولد، ولما كان وجوده من ذاته بهويته لم يكن صادرأ هو عن غير ذاته. واذا كان الامر كذلك أي

إذا كان واجب الوجود ماهيته هويته ، لا يتولد عن غيره ولا يتولد عنه شبيهه له لم يكن هناك في الوجود ما يكافئه ويساويه في قوة الوجود ، ولذلك قال تعالى « ولم يكن له كفواً أحد » .

ثم يستخلص من هذه السورة أن الله بعدم ذكره المقومات في تعريفه « الله أحد » وذكر الوازم ، قد دل على أنه في ذاته بسيط ليس له ما يقومه ، واحد ليس له شريك في هذه الوجدانية . ثم انه بارداً الواحدية بالالوهية ، قد رتب الاحدية على الالهية ولم يرب الالهية على الاحدية ، لان الالوهية هي افتقار الكل به على الالهية اليه . ومن كانت هذه صفاته كان واحداً مطلقاً .

ويذهب اسماعيل مظهر في كتاب « ملتي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء » الى أنه قد تصدى للنظر في الدين فحول من مفكرى القرن الماضي ، لو اطلعت على التعاريف التي وضعوها للدين لأيقنت بان الدين لا يزال كما عهدناه في الانسان الاول ، ظاهرة مرتكزة على الاعتقاد ، ظاهرة تطورت الفكرة فيها بتطور عقلية الانسان فبلغت حداً عرفنا عنده أن الدين عقيدة تتلخص في أمرين اثنين ، لو جمع بينهما الفرد كملت ذاتيته بصفته فرداً صالحاً من جماعة تضرب في أصول الارتقاء بسهم يعيد

الامر الاول : - الاعتقاد بوجود قوة مدبرة حكيمة غايلة سرمدية لا تدرك حقيقتها العقول البشرية الا بقدر ما تستطيع أن تبلغ من ادراك لقوة تدبر عالماً ، وقف الفكر أمامه معترفاً بالمعجز

الامر الثاني : - أن الدين شريعة أدبية ، صلة الفرد بها حاجة للمجموع تؤدي به الى أبعد غاية من الارتقاء المدنى

واليك كلمات استجمعها العلامة « بنيامين كيد » لعديد من كبار المفكرين من

معاصريه ومن تقدمهم في عصور المدنية تأتي عليها لنظير الباحث الخبير على آخر حالات تشكلت فيها العقلية الفردية في ادراكها لحقيقة الدين :

- ١ - الدين معرفة الله والتشبه به « سنيك » - ٢ - ينحصر الدين في اعتقادنا بان كل واجباتنا أوامر الهية « كانت » - ٣ - ان الدين شرع أدبي ممسوس بالانفعال « ماتيو أونولد » - ٤ - الدين عبادة الانسانية « كونت » - ٥ - ان العاطفة الدينية يكونها الانفعال الهاديء مقرونًا بالخوف وحساسية الخضوع للعظمة « اسكندر بان » - ٦ - أن دين الانسانية هو المعبر عن أقصى حالة عقلية يعمل بها الكون ، هو المعني الجميل ، بل محصل ما يبلغ اليه ادراك الانسان ، من معرفته لحقيقة الاشياء « ادوارد كارد » - ٧ - ان الدين حد المعرفة الذي تدركه النفس المحدودة المتحيرة ، من ماهيتها كنفس مطلقة غير متناهية « هيچل » - ٨ - الدين اجلال المثل الاعلى من الاخلاق ، ومحبة العمل على تحقيقه في الحياة « هكسلي » - ٩ - ان ماهية الدين هي توجيه الانفعالات والرغبات بقوة وصدق عزيمه نحو تحقيق مثل أعلى تقنع بأنه أقصى الجود والخير ، وأنه فوق كل الرغبات النفسية التي تسوقنا اليها الانانية « ميل » - ١٠ - ان الدين هو الشيء الذي يعتقد الانسان في صحته اعتقاداً عملياً . هو الشيء الذي يحسه الانسان بقلبه ، ويأخذه على أنه حقيقة واقعة فيما هو كائن من علاقاته المتعددة بهذا الكون المتعمق في الغموض ، الاصيل في الاستغلاق ، وفيما يتصل بواجباته في هذه الدنيا ، ونهاية هذه الحياة « كارليل » - ١١ - ان الدين في أول درجاته ، وابعان حالاته ، هو ما يمكن أن نصفه بأنه عادة مقرونة بشغف دائم « صاحب كتاب الدين الطبيعي » - ١٢ - ان الدين اعتقاد في إله باق قديم ، أي أرادة قدسية ، وعقل قدسي يدبران الكون في حين أن علاقتهما بالنوع البشري أدبية « دكتور مارتينو »

## نشأة الاديان الكبرى

يقدر عدد سكان العالم بنحو ألفي مليون . أما قبل التاريخ فالعدد غير معروف . ويدين بالمسيحية ٣٤ ٪ من سكان العالم موزعين على مذاهبها هكذا : ١٦ر٢ في المائة من الكاثوليك ، ١٠ر٧ ٪ من البروتستنتية ، ٧ر١ ٪ من الارثوذكس أما « الكونفوشيوسية » فيدين بها ١٨ر٢ ٪ و « الاسلام » ١٣ر٤ ٪ و « الهندوكية » ١٢ر٨ ٪ و « البوذية » ٨ر٤ ٪ و « اليهودية » ١ ٪ والباقون إما أنهم يعبدون الحيوان ، وإما موزعون بين مذاهب شتى يتعذر حصرها . أول الاديان الكبرى : البوذية ، فالهندوكية ، فالكونفوشيوسية ، وكلها من القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد ، فاليهودية ، فالمسيحية ، فالاسلام وقد نشأ الدين الاسلامي في شبه جزيرة العرب . أما المسيحية فقد نشأت بين بيت المقدس وروما . والكونفوشيوسية نشأت في الصين ، والبوذية نشأت في الهند . وكذلك نشأت في بادية الشام الديانة اليهودية التي يقرب عدد المتدينين من عشرين مليون نسمة

ويمكن أن يقال ان أكثر الديانات الكبرى نشأت في بيئة صحراوية تتيح للإنسان أن يتأمل الطبيعة الكبرى ومن أجل هذا كان الشرق مهد الحضارات القديمة ، والاديان مظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي . ومن هنا سبق الشرق الغرب في ظهور الاديان كما سبقه الى نور الحضارة والعمران

هذا وقد عبر المسامون أفريقية واستوطنوا الاندلس ولم يكن ثمة ما يمنع أن ينفذ الدين الاسلامي الى صميم أوروبا غير أنهم انهزموا في معركة تور وبواتيه فاقام المسيحيون حاجزاً من جبال البرانس حال دون بلوغ الاسلام الى وسط أوروبا وشمالها . ثم انه لما سارت جيوش العثمانيين غرباً حتى أخضعت دول

البلقان ووقفت على أبواب فينا واتجهت شمالاً إلى بولندا وروسيا كان من المرجح أن يشمل الاسلام جميع تلك البقاع المسيحية جيلاً بعد جيل ، ولكن العثمانيين لم يوفقوا في حروبهم دائماً بل لحقهم الضعف والتفكك. ولو انتصر الاندلسيون على شارل مارتل ووفق العثمانيون في فتوحهم لدانت شعوب أوروبا بالاسلام ، إذ ليس في أصوله وتعاليمه ما يجعله خاصاً بشعب دون شعب

### الدين في القرآن الكريم

وقد آثرنا - تماماً للفائدة - أن نورد هنا بعض الآيات القرآنية في هذا الموضوع :

جاء في سورة آل عمران « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون »

وجاء في آل عمران أيضاً :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أظن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين »

وجاء في سورة المائدة « الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون »

وجاء في سورة الانعام « وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق ويومئذ يقول كن فيكون ، قوله الحق وله الملك يوم ينفخ الصور، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير »

وجاء في هذه السورة أيضاً « وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر، أتتخذ أصناماً آلهة  
اني أراك وقومك في ضلال مبين »

### شعوب لا دين لها

هناك شعوب لا دين لها فقد ذكر الفيلسوف هربرت سبنسر في الكتاب  
الرابع « أصول علم الاجتماع » أنه « توجد أدلة على أن الناس الذين فصلوا عن عالم  
الافكار المكتسبة منذ طفولتهم لسبب من الاسباب خلوا من كل فكرة دينية  
فقد ذكر الدكتور كيتو الذي كان أصم في مؤلفه « الحواس المفقودة » صفحة  
٢٠٠ شهادة سيدة أمريكية ولدت صماء بكاء ولم تعلم بالطرق الصناعية الخاصة  
الا بعد وصولها الى سن الرشد . قالت — أو قل كتبت بطريقتها — إنه  
لم يخطر على بالها البتة ولا على بال أحد من الصم البكم الذين كانوا معها في دار  
واحدة أنه لا بد للعالم من خالق »

ثم يقول سبنسر . « فهذا كله يدل على أنه ليس بالشعوب التمدنية ميل غزيري  
الى الدين . ولدينا براهين تؤيد صحة هذا الاستنتاج وتثبت أن فكرة الدين  
مفقودة أصلاً بين كثير من الشعوب المتوحشة . فقد قدم السر جون لوبوك أمثلة  
على شعوب عديدة من هذا القبيل في كتابيه « العصور السابقة للتاريخ »  
و « أصول المدنية »

وروي المستر هارستون في مجلة ' فورتنيتلي ريفيو ' بالمجلد التاسع عشر أنهم  
كانوا يعلمون رجلاً من قبيلة الودي وهو في السجن فاتضح أن ليس لديه أي  
الملم عن الخالق ولا عن الروح ولا عن عالم آخر

وقال القس صموئيل سمث الذي عاش ٢٨ سنة مع أناس صم بكم يصف أحدهم

« أنه ليس له أي المام بالخلود ، وأنه لم يعثر على واحد من الصم البكم ممن لم يتعلموا عنده أية فكرة عن قوة عليا خلقت العالم وتدبره »

وذكر شون فورت في مؤلفه « أواسط أفريقيا » ما نصه : « ليس للبنجرس أدنى فكرة عن الخلود وهم يجهلون كل معتقد ديني . وأما الزولو ، وهم علي شيء من الذكاء ، فأنهم برهان واضح على دعوانا هذه واليك الحديث ، الذي دار بين الرحالة « جاردنز » وأحد هم الذي يدعي تباي

جاردنز - هل لك المام بالسلطة التي خلقت العالم ؟ أنت ترى الشمس تشرق ثم تغرب والاشجار تنبت وتتمو فهل تعلم من يدبر كل هذا ؟

تباي - بعد أن سكت برهة - اننا نرى كل هذه الامور ولا نعلم من أين أتت ونعتقد أنها أتت من تلقاء نفسها . ( راجع كتاب رحلة في بلاد الزولو بأفريقيا لارحالة جاردنز ص ٧٢ )

ويؤيد ما تقدم أيضاً الحديث الذي دار بين السر صموئيل بيكر وبين رئيس قبيلة من قبائل اللاتوك يدعي كومورو واليك نصه :

السر صموئيل بيكر - هل لكم أي اعتقاد في وجود آخر بعد الموت ؟  
كومورو - وجود آخر ، وكيف ذلك ؟ هل يمكن الميت أن يخرج من قبره إلا اذا نبش القبر وأخرج منه

بيكر - هل تظن أن الانسان مثل الحيوان يموت ثم يندثر أمره ؟  
كومورو - لا شك في هذا . فان الثور أقوى من الانسان . ولكنه يموت مع أن عظامه أطول وأقوى من عظام الرجل التي تكسر بسهولة لانه ضعيف بيكر - أليس الانسان أذكى من الثور ؟ أليس له عقل يدبر أعماله  
كومورو - توجد ثيران أذكى من بعض الرجال . فان الرجال يزرعون

الارض كي يحصلوا على قوتهم . أما الثور والحيوانات المتوحشة فانها تحصل على قوتها من غير زرع

بيكر - ألا تدري أنه يوجد فيك شيء آخر خلاف الجسم ؟ ألا تحلم ؟ ألا تذهب الى مسافات طويلة في أثناء نومك وجسمك لا ينتقل من مكانه ؟ فكيف تعمل ذلك ؟

كومورو باسمًا - كيف تعمل أنت ذلك ؟ ان هذا الأمر يحصل لي كل ليلة ولكنني أجهل أسبابه

بيكر - أليس لديك أية فكرة عن الارواح التي هي أقوى من الانسان والحيوان ؟ أليس لك أقل خوف من عواقب الشر ودع عنك الخوف من العوامل الطبيعية ؟

كومورو - اني أخشى الفيلة وحيوانات أخرى حين أسير ليلا في الغابات ولكنني لا أخاف شيئاً آخر

بيكر - وعلى هذا فانت لا تعتقد في شيء لا في ارواح الخير ولا في ارواح الشر ، وتظن أن كل شيء فيك من جسم وعقل ينشأ بموتك ، وأنتك مثل بقية الحيوانات لا فرق بينك وبينها

كومورو - طبعاً

بيكر - ولكن انظر الى حبة القمح كيف تعفن بعد أن تبذر في الارض ولكن لا تلبث قليلا حتى تنبت وتنمو منها سنبلة تأتي بحبات كثيرة فاذا كانت حبة القمح تحيا بعد موتها فمن باب أولى الانسان الذي هو أعظم المخلوقات

كومورو - لقد أدركت قصدك جيداً ولكن الحبة الاصلية تنعدم بعد الموت فهي تعفن كما يموت الانسان وينقضى امرها . أما السنبلة التي تنبت منها فليست الحبة الاصلية بل ثمرتها ونتيجتها . وهكذا حال الانسان فاني أموت ثم

أعفن وينقضى أمرى، ولكن نسلى ينمو مثل ثمرة الحبة . وقد لا يأتي الانسان  
بنسل كما تنفى الحبة ولا تأتي بشر . فبعد الموت ينعدم الانسان كما تنعدم الحبة  
وقال العلامة فيانا دي ليا الدكتور في العلوم الطبيعية والعضو بالمجمع العلمي  
الفرنسوى في كتابه «الانسان حسب مذهب التطور» صحيفة ١٧٤ وما بعدها  
ما يأتي :

ليست الفكرة الدينية من طبيعة النوع الانساني، وليست هي صفة أصلية فيه  
تميزه عن سائر الاحياء وما هي إلا حالة مر عليها في أحد أطوار ارتقائه . وعلي  
كل حال فهي ليست لازمة له وليست عامة بين جميع الشعوب إذ توجد شعوب  
متأخرة لم تصل في أطوار ارتقامها الي طور الافكار الدينية . وتوجد فئات  
كثيرة بين الشعوب المتقدمة فاقت هذا الطور ويزداد عددها كل يوم وتوجد  
شعوب أخرى خلت نحو المدنية خطوات تذكر ولم تمر مطلقاً بهذا الطور - طور  
الدين والافكار الدينية . وهذه الشعوب التي لا يدين أفرادها بدين ما يوجد  
منها في أفريقيا وآسيا وأمريكا وأستراليا . وذلك بشهادة الرحالين تومبسون ،  
وفان دير كامب ، والنس موفات ، والرحالة الشهير ليفنجستون ، والسر صموئيل بيكر  
«المتقدم ذكره» والدكتور مونات ، ودالتون وليختنشتين ، وقد ذكر كل من  
مورتز فخر في رسالته الثلاث والسر جون لوبك في كتابيه «أصول المدنية»  
و «العصور السابقة للتاريخ» - المتقدم ذكرهما - عدداً كبيراً من الشعوب التي  
ليست لها أية عقيدة دينية

روي ليفنجستون الرحالة الكبير في مجلة «الجمعية الاثروپولوجية الفرنسية»  
ان عبادة الاصنام وكل نزعة دينية معدومة بين قبيلة بتشياتا وكثير من قبائل  
أفريقيا الوسطى . وقد أيد كل من، كازاليس والمبشر موفات قول ليفنجستون  
هذا . فقد قال موفات في كتابه «عشرون سنة في أفريقيا الجنوبية» ما يأتي :

« طالما سعت جهدى فى كشف شىء من الافكار أو الاعتقادات الدينية عند السكان لأتدخل بينهم ، فلم أفجح لانه ليست لديهم أية فكرة من هذا القبيل » وقال القس برون مثل هذا القول عن قبيلة الما كولو ببلاد الكفر باواسط أفريقيا .

وروي المبشر لنجستون هذه الرواية أيضاً عن قبيلة ميونجو فى أفريقيا وروي الاب سلفادور مثل هذه الرواية أيضاً عن قبيلة أرافيرس وكثير غيرها من قبائل أستراليا

وقال هذا القول أيضاً الرحالة ما كليهو مكلي عن سكان جزيرة سامون وعن قبائل البابواس التى تعيش على سواحل غينيا الجديدة وعن قبائل خليج باغان .

ولم يعثر المبشر بيسجرت على أى أثر للاعتقاد بالله أو الاصنام أو الخلود أو أى معتقد آخر عند كثير من قبائل كاليفورنيا القديمة . وكذلك الحال عند سكان كاليدونيا الاصليين وقبائل الباشاجونى والفوجيان

وروى السر جون ايمرسون عن قبائل القيدا بجزيرة سيلان أنه ليس لهم المام باية عقيدة دينية من أى نوع . وكانوا يسألون السر جون ايمرسون : « أين هذا الأله وعلى أية شجرة أو على أية صخرة يعيش ؟ » وكذلك حال كثير من زواج شبه جزيرة ملقا

وروى السر ميسنجر بردلى مثل هذا عن قبيلة من قبائل أستراليا والرحالة ديتبورن عن قبائل البوشيان والاسكيمويين وعن قبائل ليساوخاسياس التى تعيش فى شمال الهند .

وفى كتاب « المادة والقوة » للعلامة بخترا الألمانية صحيفة ٢٥١ من الترجمة

الفرنسوية ما يأتى :

« اثبت كثير من العلماء والساحين والتجار والمرسلين والمبشرين أنه توجد شعوب عديدة ليس بها أدنى فزعة دينية. وطالما سمعت وقرأت أن الدين أو التدين هو الصفة المميزة للنوع الانساني، وهو الحد الفاصل بينه وبين بقية الحيوانات، فلا تخافو الحال من أحد أمرين : إما ان القائلين بهذا القول علي خطأ . وإما أنه يوجد عدد كبير من الناس لا شيء يميزهم من الحيوانات »

وقال العلامة بروكا الشهير « لا ريب عندي في أنه توجد شعوب كثيرة من النوع الانساني خالية من كل معتقد وعبادة ومن كل فكرة دينية »  
وهنا استشهد بخبر بما قال السر جون لوبك ودروين وغيرها عن وجود قبائل كثيرة لا تعتقد أي دين مما أشرنا اليه ثم قال :

« وأبلغ من هذا كله ان جميع اتباع كونيوشيو لا دين لهم مطلقاً فهم لا يعتقدون في إله ولا يؤمنون بخلود الروح . وليس ما يسمونه بدين كونيوشيو سوى مذهب فاسني عمراني أخلاقي نشره صاحبه وهو فيلسوف صيني قديم . فاتبعته الطبقة المتعلمة في الصين وكثرة سكان اليابان »  
واليك ملخص مذهب كونيوشيوس نقلنا عن كتاب « الاطلاع » للعلامة فولني صفحة ١٣٩ :

الحقيقة هي أن كل ما في الوجود وهم وخيال وظواهر باطلة . وليس التقمص الروحي إلا رمز إلي التقمص الجسمي المادي الحقيقي . لان مادة الجسم - مثلها مثل المواد التي في الكون - لا تبقى بعد الموت بل تتحلل وتنتشر في الارض والهواء وتدخل في تركيب أخري . وما الروح إلا القوة الحيوية التي تنتج من خواص مواد الجسم وتأثير أعضائه بعضها في البعض مما يجعله يتحرك ويحيا . أما القول بان هذه القوة الناتجة من تأثير الاعضاء وخواص المادة الملازمة لها والتي تولد منها وتنمو معها تبقى « أي تلك القوة » بعد موت الجسم فهو قول خيالي وهمي

خالقه تصورنا المخدوع. وما الله إلا مجموع القوى الطبيعية غير المنظورة المنتشرة في جميع أجزاء الكون والتي تحركه أو مجموع النواميس الطبيعية التي تديره ولما كانت هذه النواميس الطبيعية في غاية الدقة وأغلبها خفي على الانسان برزت للناس كلغز لا يمكن حله فقالوا بوجود الايمان بها بغير ادراكها وزعموا أنها فوق العقل البشرى

« إن الحكمة هي معرفة النواميس الطبيعية . وأن الفضيلة تقوم في اتباعها والشر والرذيلة في جهلها وعدم السير وراءها » انتهى كلام فولتير عن مذهب كنفوشيوس الذي يسمونه ديناً

هذا ويقول « ناصيف المنقبادي » إن هناك شعوباً لم تعرف عقيدة ما ، وإن من الشعوب التي لا تدين بدين ما بعض قبائل العرب القديمة فقد جاء في كتاب «مصادر الاسلام » ما نصه : والعرب الجاهلية أصناف ، فصنف أنكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحي والدهر، المفني يؤيد هذا ما ذكره القرآن عنهم في سورة الجاثية « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين »

## عبادة الكواكب

عند « السيد عبد الرزاق الحسيني » من بغداد إن مظاهر الطبيعة وعجائب الكون قد وجهت نظر الانسان منذ نشأته إلى إكبارها وتعظيمها فأكبر العاصفة وارتعدت فرائصه للقوى الطبيعية ورأى في كل تلك المظاهر قوة مدركة وحياة خاصة فاستصغر قواه بجانبها ووجدتها جديرة بالتعظيم والتقدیس . ومن هنا نشأت فكرة العبادة لمظاهر الكون واستمر البشر يؤله ما يخاف منه وما تجهل كنهه أو يرى فيه شيئاً غريباً حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر

وأصبحت المظاهر الطبيعية تنضوي قواها تحت قوي محصورة في قوة واحدة فبعد أن كانت الريح العاصف والشمس المهجرة والندار المتأججة ، آلهة تميد وأرباباً تطلب منها المساعدة والمعونة ، أصبحت تلك القوي ، متمثلة في عدد من الكواكب السيارة وفي قوة تمثلها تلك الكواكب ، وتطورت هذه الفكرة فاصبح عدد الكواكب يتضاءل حتى لم يبق الا إله واحد وأصبح الخلاف في صفاته بعد أن كان في شركائه وأقرانه

ولكن على الرغم من هذه التطورات التي طرأت على العقيدة البشرية ، فان جذور تلك الاعتقادات ما تزال باقية وما يزال قسم من البشر يحتفظ بأصول العقائد الاولي وبصفات التفكير القديم ، قبل عصر الحضارات ومن هؤلاء الصابئة جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر - الآية - » وقد ذهب المفسرون في تفسير كلمة « الصابئة » مذاهب شتى لا نزي داعياً للبحث فيها . غير أننا نقول إن الصابئة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية الشريفة قد انقرضوا فاصبح من المتعذر علينا بيان معتقدتهم بالتفصيل

وذكر أصحاب كتب الملل والنحل نوعاً من الصابئة دعواهم « الصابئة الحرائية » فظن البعض أن هؤلاء القوم من الصابئة الاقدمين ، وهذا وهم وضلال فقد ذكر ابن النديم في الصفحة الـ ٣٢٠ من فهرسته « طبعة أوربا » أن المأمون اجتاز في أواخر أيامه ديار مصر يريد غزو بلاد الروم فتلقاه الناس يدعون . وكان بينهم جماعة من الحرائية وكان زيهم إذ ذاك لبس الأقبية وإرسال اللحي فانكر المأمون ذلك عليهم وسألهم هل هم من المسلمين أو اليهود أو النصارى فاجابوه بالسلب ، فسألهم هل لهم كتاب أو نبي ، فاجابوه سلباً ، فاراد قتلهم مشيراً إلى أنهم أصحاب الرأس في أيام والده الرشيد فاجابوه بأنهم يدفعون

الجزية ، فقال لهم أنتم كفرة ملاحدة والجزية تؤخذ ممن خالف الاسلام من أهل الاديان الذين ذكرهم الله في كتابه المجيد . وطلب اليهم أن ينتحلوا الاسلام ديناً لهم أو ديناً آخر من الاديان التي جاء ذكرها في القرآن ، وأمرهم الي عودته من غزو الروم . ويقول ابن النديم إن الحرافيين خافوا على حياتهم ، فأسلم بعضهم وقص البعض الآخر شعره وصاروا في ولولة واضطراب وجاءوا شيخنا من شيوخ حران يطلبون نجوة لهم وقدموا اليه الندور والدرهم فقال لهم : إذا عاد المأمون من رحلته وسألكم عن دينكم فقولوا له : نحن الصابئة والصابئة اسم لدين ذكره الله في كتابه .

وزيد ابن النديم على ما تقدم قائلًا : إن المأمون مات في سفره « ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م » ولكن المسامين عقبوا خطته حتى جعلوا الحراني يتظاهر بالاسلام . فاذا تزوج وولدت له امرأته ذكرها جعله مساماً ، وان جاءت اليه أنثى جعلها حرانية أو صابئة بالمعنى الذي أراده الشيخ الحراني لخلاصهم : وخلاصة قول ابن النديم أنه لم يكن في حران يوم اجتاز المأمون ديار مضر لغزو الروم صابئة وليست للحرانيين الذين خرجوا لاستقباله فجرى ماجرى ، لهم أية صلة بالصابئة . وهذا هو المراد عندنا

وقد ذكر المسيو هنري بونيون في كتابه تحت عنوان « الفرقة الدستائية » وهي اندائية التي اشتهر بها الصابئة الحاليون ما مضمونه : إن صاحب هذه الفرقة كان متسولاً وقد جاء من بلاد ما بين الزابين « يريد الزاب الاكبر والزاب الاصغر وهما من أنهار العراق المعروفة » الي ميسان « يريد جنوبي العراق » وكان مسيحياً اسمه « دبدا » واسم أمه « أم كسطا » ثم توطن ضفاف نهر القاردين في جنوبي البصرة الحالية . وأسس ديانة جديدة مأخوذاً معظمها من المارقيونيين

والمانويين والكنئيين وغيرها من الفرق الصابئية القديمة ثم توسعت هذه الطائفة علي مر السنين وسموا بالصائبة أي المغتسلة ، لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري اه

تعتقد الصائبة أن المخلوق الاول لله كان روحانياً يدعي « هي قدمايا » أي الحي القديم ، وأن الله خلقه وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة . ثم خلق الحي الثاني أو المخلوق الثاني وهو « هي تنياني » وخلق معه كذلك عوامل مقدسة لا تحصى ثم خلق المخلوق الثالث وهو « هي تليثاني » وخلق معه ما خلق مع سابقيه ، وأن هذه النفوس تنقسم قسمين « أنزي » أي عوام و « ملكي » أي ملوك . ثم خلق عوالم سبعة تدعي « آلمي دهشوخا » أي عوالم الظلام وهي تستمد نورها من الشمس وسكانها عوام وملوك أيضاً وأرضنا من جملتها

أما هيئة الأرض فيرونها بشكل مربع وأنها ثابتة غير متحركة وهي مقامة علي هواءين أحدهما خارجي والآخر داخلي وتحت الأرض ماء انبسطت عليه وأما السماء فيعتقدون أنها مكونة من سبع طبقات وأن الشمس تقع في الطبقة الرابعة والقمر في السابعة . ويرون أن الأرض والسماء مركبتان من مادتين هما : النار والماء وكذلك الكائنات الحية فهي كلها مركبة من هذين العنصرين . ويعتقدون أن الله بعد أن أتم خلق الأرض ، أنزل الملائكة من عالم الانوار الذي يسمونه « آبي دنهورو » بذوراً للأشجار وفتحت طريقاً للهواء ولماء الحياة وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة

يسمى الصائبة آدم « كوره قدمايه » ويقولون أن الله أرسل جبرائيلاً ويسمونه « إبتاهيل » إلي الأرض ليخلق آدم علي صورته فخلقه علي صورته من التراب وخلق من ضلعه الايسر حواء ثم أنزل الروح في جسمي آدم وزوجته

وعلم الملائكة آدم كل ما في الارض ، ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس ، ويسمونه « هاديشة » قائلاً خلقتني من نار وخلقته من تراب فكيف أسجد له ؟ فطرده الله من الجنة ولعنه

وضع الصائبة للعالم تاريخاً قدره ٥٨٧٣٠٩٥ سنة أسندوه الي أساطير وفي فكرة الخير والشر : تري الصائبة وتعتقد أن الخير والشر موجودان من قبل الانسان ، ويحدثان بفعله وأن إرادة الانسان الجزئية واختياره المطلق هو الذي يجعله مستعولاً أمام الله وهم يرون فوق ذلك أن الله بين للانسان طريق الخير وطريق الشر ، فله الحرية المطلقة في اتيان ما شاء ونبذ ما يشاء من دون معارض يعارضه .

تعتقد الصائبة أن الموت انتقال لا اندثار ، فالروح ، بعد أن تخرج من الجسد ، لا تفنى ولا تنعدم ، إنما تنتقل من عالم لآخر حتى تصل إلى عالم الانوار . وتعتقد أيضاً بأن الروح لا تطهر اذا لم تخرج من بدن طاهر ، ولهذا وجب غسل الميت وتكفينه ساعة احتضاره لتخرج الروح من جسده وهو طاهر . فاذا مات الميت نجس وحرم مسه . ومن مات فجأة أى بلا غسل وتكفين عد كافراً ، والبكاء والعيول محرمان على الميت فان كل دمعة تذرفها العين على الفقيد تكون نهرأ كبيراً في طريقه يعجزه عن قطعه

فاذا مات الميت استقبل روحه ملاكان من نقلة الارواح فيحاسبانه على عمله في دنياه فان كان حسناً فان روحه تذهب الى عالم الانوار رأساً وان كان سيئاً تبقي الروح في العذاب حتى تطهر

أما صلاة الصائبة فهي وضع أولي للصلاة ثلاث مرات وقوفاً وركوعاً وجلوساً في غير سجود وأذكار ولا يصومون . وإنما لا يأكلون اللحم ٣٦ يوماً ولهم عادات في الزواج والجنابة والذبح . ولكم نتم في ذلك نفوذ مطلق

## رأى المؤلف

أوردنا في ما تقدم الكثير من آراء العلماء والفلاسفة في «الدين والتأليه» لكي يقف القاريء على أصل هذه الفكرة التي رافقت الانسان قبل عصر التاريخ والحضارات وبعدها إلى اليوم.

وعندنا أن الانسان البدائي قبل أن يعرف شيئاً اسمه «الدين» أو «الالهة» كان يخشي القوة، سواء أكانت ممثلة في رجل قوي مسيطر أو زعيم نافذ الكلمة أم رب أسرة محترم المقام مهيب الطلعة أم في حيوان أو وحش أم في شيء في الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والماء أم في شبح أو حلم، ومن هذه الخشية نشأ الاحترام والاجلال والتهيب فالحب فالتقديس

كان الانسان الأول دائم النظر إلى السماء، مأخوذاً بحرارة الشمس وكسوفها وضوء القمر وخسوفه والنجوم ونورها وبالعواصف والسحب والصواعق والبرق والأمطار والبرد — بفتح الراء —

وعندنا أن الانسان البدائي كان يعبد ما يعبد ويقدر ما يقدر تبعاً للاحداث العارضة وأنه كان ينتقل من عبادة إلى أخرى في سرعة كلما كان الملقن أو الحدث قوياً، أو كلما حط عصاه في بلد جديد ذي عبادة أخرى

وكما ارتقت الحياة الاجتماعية أحس الاقوياء المسيطرون والمفكرون بحاجة لهذا المجتمع التي رابطة روحية كما أحس المجتمع ذاته بحاجة الى هذه الرابطة. ومن هنا كان المجال متسعاً لنشر الدين والتفنن في مذاهبه فتعددت الاديان والآلهة وتطورت إلى أن ظهرت الديانات الكبرى في الحضارات القديمة «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم» قرآن كريم